الفصل السابع

الشجاعة كصفة لاكتساب الجاذبية

كان الأسد الجبان شخصية محبوبة في عالم الكارتون، فما بالك بمدى جاذبيته لو كان يملك الشجاعة، إن الشجاعة هي أكثر صفات الجاذبية نبلاً، ولكن دعنا نضع الأمور في نصابها، إن الشجاعة ليست في الحروب فقط، أو تسلق جبل شاهق، أو السير وحدك في طريق مظلم، بل الشجاعة شيء مطلوب كل يوم، فإذا سرت بسيارتك على أحد الطرق السريعة في إحدى المدن الكبرى فسوف تدرك بالضبط ما أعنيه.

وتقريباً كل من يعمل في مجال الأعمال يحتاج إلى الشجاعة اليومية، والآباء والأمهات يحتاجون إلى الشجاعة ورباطة الجأش في تربية أطفالهم، ويحتاج الأطفال إلى الشجاعة لمواجهة الأعمال العدوانية التي يتعرضون لها في الحياة اليومية.

لقد أخبرني أحدهم ذات مرة أن أكثر اللحظات رعباً في حياته كانت عندما ترك مقعده المعتاد في المجلس وتوجه للمنصة ليتم تقديمه كعضو جديد، وبالنسبة لمعظم الناس لا يعد هذا الأمر صعباً، ولكنه بالنسبة للبعض الآخر يعد فعلاً خطيراً يتطلب قدراً كبيراً من الشجاعة.

بالرغم من كثرة المقتطفات الواردة في هذا الشأن، إلا أن مقولة "تيدى روزفلت" هي أفضل مقتطف بالنسبة لي:

"يثق الناس بمن هو في ساحة النضال بالفعل ووجهه يعلوه الغبار والعرق والدم، ويحاول بكل شجاعة ويخطئ ويحاول عدة مرات، ومن يناضل بحماس وإخلاص ويضحي بروحه في سبيل قضية عادلة، والذي إذا انتصر كان انتصاره نتيجة لإنجاز عظيم، وإذا ما خسر خسر بشرف، ويغادر ساحة المعركة ورأسه مرفوع، ومن ثم لا يكون مكانه أبداً وسط الأرواح الباردة الجبانة التي لا تعرف النصر ولا الهزيمة".

أحب أشياء كثيرة في هذه العبارة، ولكن أكثر ما أحبه فيها هو الدعوة إلى التحلي بالشجاعة، قد يقول أحدهم إنه في العصر الحديث لا يوجد مكان للبطل أو الزعيم، أي أنه من النادر أن نجد القادة الأبطال، وعلى الرغم من أنه توجد جوانب كثيرة للقائد إلا أن أهمها على الإطلاق هو الشجاعة، أنت تحتاج إلى الشجاعة كي تقود، والقادة دائماً يفعلون ويقومون بأشياء كثيرة، ولا يهم أن تكسب أو تخسر،

ولكن على الأقل يجب أن تحاول، فعدم المحاولة يؤدي إلى المصير الذي تحدث عنه روزفلت، أي الموت مع من لم يعرفوا النصر ولا الهزيمة، ومع ذلك يمكنك تجنب ذلك، ولكنه يتطلب - كما خمنت بالفعل- الشجاعة.

الشجاعة هي صفة الجاذبية الفريدة التي تتشابه سماتها الخارجية والداخلية تماماً، فتلك السمات تبرز نفسها من أوجه مختلفة، ولكنها سمات متشابهة، وهي السلوكيات والتميز والمثابرة، ومن الصعب أن نسأل ماذا يؤدي إلى ماذا، هل السلوكيات والتميز والمثابرة تمنحك الشجاعة؟ أم الشجاعة هي التي تمنحك تلك الصفات الثلاث؟ الإجابة هي أن كلتا العبارتين صحيحة، قد يولد البعض شجعاناً بالوراثة ولديهم استعداد للشجاعة، ولكن بالنسبة لمعظم الناس فإن الشجاعة مكتسبة بالتعلم والتحرك.

سلوكيات الشجاعة:

هل لاحظت أنني أشير إلى الشجاعة على أنها حركة؟ بالطبع فإن الشجاعة لا تكون شجاعة إلا بالحركة، قد ينطبق هذا الكلام على كل صفات الجاذبية، لكن الفارق الدقيق هو أن الشجاعة هي فقط التي تظهر بالتحرك، فقد يتحلى المرء بالثقة ولكنه لا يظهر ذلك أبداً، وقد لا يفيد المرء ألا يظهرها إذا كان يتحلى بها، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالتواصل، ولكنه شيء ممكن من الناحية النظرية، ولكن من ناحية أخرى من المستحيل أن تتحلى بالشجاعة ولا تظهر ذلك بالأفعال بل بالأقوال فقط، فالشجاعة هي الفعل وإظهار القدرة على الفعل، فقد تفكر بشجاعة - وهذا شيء نبيل- ولكن فقط من خلال الفعل تكون الشجاعة حقيقية، والشجاعة الحقيقية هي التي تكسبك الجاذبية.

والآن قد يقول البعض إن من يعاني من ظروف سيئة للغاية يتسم بالشجاعة وأقول لهؤلاء إنه ربما يكون كذلك، ولكن يجب أن تكون هناك أفعال تحدث، ولا ينبغي الخلط بين الشجاعة وتقبل الأوضاع، إن التقبل جزء من الشعور بالرضا، وهو صفة جذابة أيضاً، ولكنها لا تمت للشجاعة بصلة، وسأتناول صفة الرضا فيما بعد، أما الشجاعة فتتطلب الفعل.

نحن معجبون بالشجاعة لأنها أكثر صفات الجاذبية نبلاً، كما نطمح جميعاً للتصرف بشجاعة في اللحظات التي تدعو لذلك، ومعظمنا يعتقد أننا سنتصرف بشجاعة حينئذ، ولكن الحقيقة أن ذلك لا يحدث في كل الأحيان، فالسلوك الشجاع له أعداء كثيرون، كالخوف والخنوع والأعذار.

فالخوف انفعال حقيقي وينال منا بالفعل في عدة مواقف، ويظهر الخوف بعدة طرق، فقد يكون الخوف عبارة عن ذعر حقيقي ظاهر مثل الخوف من أفلام الرعب، ولكن من الشائع أن يظهر الخوف بطرق أقل وضوحاً، مثل التردد في اتخاذ قرارات أو القلق المبالغ فيه، تلك الحالات هي عوائق صفات الجاذبية، فعلى سبيل المثال هناك صفة قوية هي الالتزام وتحديد الأهداف، لكن الصفة المضادة لهما هي القلق، والقلق هو السلبية في تحديد الأهداف، إذن فالمبادرة بالتحرك هي العلاج الوحيد للخوف والتردد في اتخاذ القرارات.

أما الخنوع فيحرمنا من الإبداع ومن الحاجة إلى الشجاعة، فجميعنا يخضع للروتين، فكر في طقوسك اليومية كل صباح، ستجد غالباً أنك تقوم بنفس الأشياء كل يوم بنفس الطريقة وبنفس الترتيب.

وتكمن المشكلة عندما ندير أعمالنا بطريقة روتينية لا شعورياً في أننا غالباً ما نفقد فرص النجاح والتصرف بشجاعة، وينتهي بنا المطاف إلى رؤية ما نتوقع رؤيته فقط وتجربة ما نعرف أن بإمكاننا القيام به فقط، وتصبح الحياة مجرد روتين ولا حاجة بنا إلى الشجاعة، وتسير بنا الحياة وفق هواها بلا ألم أو مخاطرة أو مجد أو فعالية أو شجاعة.

أما الأعذار فهي عادة ما تكون رداً على فرصة متاحة لكننا نتركها تضيع بسبب عدم توفر الشجاعة اللازمة للإمساك بها، ففي كل يوم نواجه لحظة أو اثنتين نفكر فيهما في عمل شيء نعرف في قرارة أنفسنا أنه يجب القيام به، ولكن عادة ما ينتهي بنا الأمر إلى عدم القيام به، ونقنع أنفسنا بأننا منشغلون للغاية أو مفلسون أو أكبر سنا أو أصغر من اللازم، أو تنقصنا الخبرة أو لسنا في حالة مزاجية جيد، أو أن الوقت غير مناسب.

قد يكون السبب مقنعاً، ولكنه غالباً ما لا يكون كذلك ونلقب باللوم على الخوف، قد يكون خوفاً من التغيير أو من المجهول أو من المخاطرة أو من الفشل، وبإمكان الخوف أن يحول دون القيام بأي فعل شجاع، في تلك اللحظات يجب أن

نستخدم الكلام الجذاب للتغلب على أعذارنا ونقوم بما نريد القيام به، أنا متأكد من أن شركة "Nike" لم تنجح فقط بسبب نوعية الأحذية الرياضية الممتازة التي تنتجها، ولكن بسبب الشعار الخاص بها "فقط أفعلها" "just do it"، فجميعنا يريد أن يفعلها فقط بلا تردد ولا يوجد بيننا من لا يريد ذلك، بالطبع هذا الشعار له تأثير جذاب على مبيعات تلك الشركة.

في مثل تلك اللحظات، إذا استطعنا أن نستجمع شجاعتنا ونقوم بأي حركة سيتجمهر الناس للتصفيق لنا، فنحن نحيا في عصر خال من الأبطال، فقد أصبح من الصعب جداً أن نجد بسرعة ثلاثة أشخاص نعجب بهم بالقدر الكافي لكي ندعوهم أبطالاً.

لدى نظرية في هذا الصدد، وهي أن الأمر هكذا ليس بسبب عدم وجود الأبطال، ولكن بسبب عدم البحث بشكل كاف عن الأبطال وبذلك يربح الأشرار، لكي أثبت ذلك حاول الآن سريعاً أن تذكر ثلاثة أشخاص اشتهروا بشرهم، وسوف تجد ذلك سهلاً بل سيزداد العدد عن ثلاثة، فسريعاً ما تنقل لنا القنوات الإخبارية أخباراً سيئة، أما الأخبار الجيدة فيتم ترحيلها إلى فقرة "سنذيعها عند التحقق من صحتها"، وأعرف ذلك عن تجربة شخصية، فقد قمت بالالتحاق بأحد دور الصحافة منذ سنوات للعمل في هذا المجال، وسمعت حينها لأول مرة ذلك المثل الشهير: "الأحدث الدموية هي التي تصنع الأخبار" وهو يعنى أن الدماء هي التي تصنع الأخبار التي تحتل الصدارة، إنها حقيقة مؤسفة حقاً، لكنها حقيقية.

والحقيقة أيضاً أنه يوجد الكثير من الأخبار الجيدة وقصص كثيرة يومية عن الشجاعة، ولكن يجب علينا البحث عنها فالأمر يستحق العناء؛ لأن قصص الشجاعة مصدر إلهام لنا، وتساعدنا على أيجاد قوتنا وشجاعتنا عند الحاجة، ومن ثم لكي أؤدي واجبي سوف أطلعكم على القصص التالية التي صادفتها في طريقي منذ عهد قريب وكانت بالنسبة لي مصدر إلهام، وأتمنى أن تكون كذلك بالنسبة لكم.

التصرف بشجاعة:

بالطبع يعرف الكثيرون اسم "مطار أوهار" بولاية "شيكاجو"، لكن القليل فقط من سمع عن قصة "باتش أوهار"، فقد كان طياراً مقاتلاً في الحرب العالمية الثانية في

جنوب المحيط الهادى، وفي يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٢ أثناء إحدى مهماته الكثيرة لاحظ أن أحدهم قد نسى إعادة تزويد طائرته بالوقود ولم يكن لديه الوقود الكافي لإنجاز مهمته مع باقى فرقته، فأمره القائد بالخروج من تشكيل الطائرات والرجوع للقاعدة للتزود بالوقود.

وفي طريقه لاحظ شيئاً كاد يوقف قلبه من الفزع، فقد كان سرب من طائرات العدو يتجه نحو زملائه، وكان يعلم أن زملاءه غير مستعدين للقاء العدو، والأسوأ من ذلك أنه لم تكن هناك طريقة كى يحذرهم من الخطر القادم، لقد كانت لحظة حاسمة، حيث كان يجب أن يفعل شيئاً وإلا سيندم بقية عمره، فتخلى عن الحرص والحذر وانطلق بطائراته إلى سرب الأعداء بكل قوة، مما سبب لهم الارتباك والبلبلة وألحق بهم الخسائر، واستطاع الاقتراب بالقدر الكافي لمحاولة تحطيم جناح أو ذيل إحدى طائرات العدو لتعطيلها، وعلى الرغم من إصابة طائرته بالعديد من القذائف إلا أنه لم يستسلم حتى تخلى السرب اليابانى عن مهمته ورحل في اتجاه آخر.

بالكاد تمكن "باتش" من الهبوط بطائرته المصابة، وسجلت الكاميرا المثبتة في طائرته كل شيء، لقد استطاع تحطيم خمس طائرات للعدو، وأصبح أول طيار حربي ينال وسام الشرف من مجلس "الكونجرس"، وبعد مرور عام قتل "باتش" في مهمة أخرى.

هناك قصة أخرى أعتقد أن الكثيرين قد سمعوا عنها، كان هناك رجل يدعى على سبيل المزاح "أيدى السهل"، كان إدى المحامى الخاص بـ "آل كابونى" زعيم المافيا الشهير بشيكاجو، وكان مسئولاً بصفة شخصية عن الدفاع عنه حتى لا يدخل السجن، وأسقط عنه العديد من التهم بفضل حنكته القانونية، وكنتيجة لذلك كانت أتعابه باهظة وعاش حياة رغدة، على الرغم من الإثم الذي يطوق عنقه، وأيضاً حاول بكل جهد أن يحمي ابنه من الانحراف، وجعله ضميره يجتهد أكثر ليعلم ابنه الصواب والخطأ، لم يستطع "أيدى" بعد الآن أن يخفي حقيقة عمله عن ابنه، وكان عليه أن يتخذ القرار، وكانت لحظة صدق مع النفس.

ذهب "أيدى السهل" وهو يرتعد من الخوف إلى السلطات القضائية وشهد ضد زعيم المافيا، وكان يعرف ماذا يعنى ذلك، ولكنه كان مصمماً على أن يكون قدوة حسنة لابنه، بعد مرور عدة شهور تم إطلاق النار على "أيدى" في شارع جانبى من شوارع "شيكاجو" كانتقام لخيانته لـ "كابونى".

ما هو القاسم المشترك بين القصتين بخلاف أنهما حقيقيتان؟ ستجد أن تصرف "أيدى" كأنه أدى إلى تصرف "باتش"، أي أن التصرف بشجاعة ولو لمرة واحدة يؤدي إلى تكرار التصرف بشجاعة في مواقف أخرى.

التميز:

تلك هي صيغة المعادلة: التميز شيء جذاب ويؤدي إلى التواصل، وأنت تحتاج إلى الشجاعة كي تكون متميزاً. هل فهمت ما أعنيه؟ إن من يتحلون بالشجاعة يبادرون بالتحرك والتصرف، وإظهار تميزك من أشكال التصرف بشجاعة، وبعبارة أخرى عليك أن تستجمع شجاعتك لتكون متميزاً، وكل واحد منا يتمنى أن يكون مثل شخص آخر، فلماذا لا تكون على طبيعتك وسجيتك؟ إن التشابه مع الآخرين ليس جذاباً، ولكن الأمر يستوجب الشجاعة للتخلص من المشابهة وإظهار تميزك عن الآخرين.

إننا نعيش في عالم يحثنا ويدعونا دائماً لتقليد الآخرين، وتوجد نظم روتينية لا تحصى يجتازها المرء كل يوم ليس بدافع التفكير المنطقى، بل لأننا نقلد الآخرين، فنحن نتعلم من مشاهدة الآخرين، وهذا ما أطلق عليه اسم "التبعية" وهو عكس مفهوم القيادة، فهي طريقة منظمة لتعلم اتباعه الآخرين.

وتكتسب صفة التبعية تدريجياً، حيث يبدو الأمر في البداية غير ضار، ولكن في النهاية نخسر كل قدرتنا على تخيل الأمور بطريقة مختلفة، وعادة ما يبدأ اتباع الآخرين في مرحلة الطفولة في صورة تحذيرات صارمة تنهانا عن الاختلاف والشذوذ عن الآخرين، فعندما نطلق على الطفل ألقاباً من نوع "المشاغب" أو "المشاكس" أو "المخالف" يكون هذا معناه أن الطفل يخرج عن النمط المألوف، وغالباً ما يتم إجباره على اتباع النظام، ومن ثم فنحن نتعلم أن الاختلاف شيء سئ، ويخبروننا أننا يجب أن نتصرف

مثل الآخرين، حتى الحملات الإعلانية في عالم الكبار تجعل شعارها: "كن مثل فلان"، ويتأصل مفهوم التبعية في عقلنا الباطن في المرحلة الإعدادية من التعليم المدرسى، فهي المجال الخصب المثالي لعقلية القطيع التي ستلازمنا إلى الأبد.

حيث يفضل معظم طلاب المدارس الإعدادية المعاناة من الألم الشديد على أن يفعلوا أي شيء للتميز عن أقرانهم، قد يكون ذلك بسبب فقدان الثقة، أو ربما بسبب الخوف من سخرية الآخرين، ولكن الحقيقة أن التشابه مع الجماعة أصبح بالنسبة لهم شيئاً مقدساً، وموضوع الساعة لديهم كل يوم هو مناقشة: "الجميع يفعلون ذلك" سواء كان "ذلك" صواباً أو خطأ، فالمهم فقط أن يشبه المرء الجميع، واستبدلت الفردية بالركض وراء القطيع، باستثناء بعض النماذج القليلة، فإن المدارس تريد أن تجعلنا جميعاً نرتدي نفس الزي ونحب نفس الموسيقى ونأكل نفس الطعام ونشاهد نفس الأفلام ونقوم بنفس الأشياء.

لحسن الحظ أن هذا النمط يقل قليلاً في المرحلة الثانوية، ولكن بالنسبة لمعظم الأطفال فإن الدمار الذي حل بهم لا يزال قائماً، لقد قمنا بتكوين آراء وأنماط في التفكير وعادات تجعلنا عبيداً للتشابه، وإذا لم ندرك تلك الحالة ونفعل شيئاً للخروج منها سريعاً، فسوف نتعرض لخطر التحول إلى مجموعة من الأرواح الجبانة الباردة التي لا تعرف النصر ولا الهزيمة، ونموت بدون تذوق طعم الحياة، إن التشابه مرض وعقبة يصعب التغلب عليها.

ومن المفارقات العجيبة أن ما يطلق علينا من ألقاب في مرحلة الطفولة قد تكون السبب فيما يجعلنا عظماء عندما نكبر، غالباً ما لا ندرك أن مواهبنا الفريدة إنما هي هبات منحها الله لنا، لحسن الحظ أن رأت أمي ولعي بالتحدث كثيراً في الفصل، ولم يشجعني أحد على التحدث، ولكن لم يمنعني أو يؤدبني أحد لكي أمتنع عن الحديث، فلقد كان الحديث هو موهبتى.

لذلك فإن من يسأل كثيراً يجب ألا نخبره بالتوقف عن ذلك، فقد تكون تلك هي موهبته، نفس الشيء ينطبق على الأطفال الذين يقرأون ولا يلعبون في الفسحة المدرسية

– فقد كان كذلك "ألبرت أينشتأين"- أو الأطفال الذين يعطون غداءهم لزملائهم - مثل الأم "تريزا"- أو الأطفال الذين يغنون في قاعة الطعام - مثل "بريتنى سبيرز"- فالمواهب التي لا يتم إدراكها مبكرة ستظل مكبوتة وتضيع فرص النجاح والشهرة والمجد.

لقد أصبح شغلنا الشاغل هو التطابق مع الجماعة، والأطفال الذين لا يفعلون ذلك نعاملهم كالمرضى الذين يحتاجون إلى العلاج، ونعتقد أن علينا أن نكبت ونقمع طاقة الطفل وتميزه حتى يصبح طفلاً مثل باقي الأطفال.

وللأسف فإن هذا في الغالب هو أسوأ ما قد يحدث للأطفال، ولا يقتصر الأمر على تدمير تقدير الطفل لذاته، ولكن أيضاً هذا يتسبب في الإخفاق في إدراك تميز الطفل.

وأسرع وسيلة للنجاح في عالم اليوم هي فعل الأشياء التي تجعل العمل متميزاً، نفس الشيء ينطبق على الأشخاص والأفراد، حيث نجد أن اكتشاف تميزنا وامتلاك الشجاعة لإظهاره هو أسرع طريقة للنجاح الفردي، ولا داعي لذكر أن هذا يحقق الجاذبية.

الأمر يستلزم الشجاعة كي تكون مثابراً، فمن السهل أن تستسلم، وأنا مقتنع بشدة أن العديد من الناس أقلعوا عن إدراك قدرتهم على النجاح، والفارق بين الشخص الناجح وغيره هو نقص القدرة والعزيمة وليس نقص العلم والقوة.

أحياناً يحتاج الأمر إلى الشجاعة لكي تبتسم على الرغم من سوء الحال والصراعات، ولكن أعظم شجاعة هي أن تتشجع كي تكون على سجيتك فقط، وتقاوم الإغراء بتقليد الآخرين، والحقيقة التي تدعو إلى السخرية هي أنك إذا حاولت بكل جهدك أن تجعل شخصاً ما يحبك وتغير شخصيتك لكي تتشابه مع شخصيته فهذا يأتي بنتائج عكسية، كن على طبيعتك فقط ولا تتوقف عن ذلك.

❖❖❖